البعد الاجتماعي في ثورة

الإمام زيد بن علي [ع]

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م

البعد الاجتماعي
في ثورة الإمام زيد بن علي [ع]

بقلم

أ. حمود عبدالله الأهنومي

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة إضاءات

يهدف برنامج (**إضاءات**) إلى بناء الوعي والمواجهة الثقافية لدى المجتمع الزيدي من خلال المبادرة إلى توضيح القضايا المثارة ثقافيا وفكريا وأخلاقيا واجتماعيا بغض النظر عن قائلها، ويسعى المشروع تحديدا إلى تحقيق **التالي:**

- تعزيز ثقة المجتمع المسلم عموما والزيدي خصوصا بموروثه الفكري والعلمي والأخلاقي والتاريخي.
- تعريفه بالثقافة الزيدية المجتمعية وقواعدها ورؤاها وأئمتها وأفكارها.
- الرد على الشبهات والأباطيل التي تحاملت على الإسلام أو على المذهب الزيدي وضلّلته وصوّرته وكأنه خارج إطار القرآن والسنة النبوية الصحيحة.
- إكساب المجتمع القدرة الذاتية والمنهجية للرد على الشبهات والتشكيكات المختلفة.

لقد بادر المشروع باستكتاب عدد جيد من العلماء والباحثين والمثقفين في عدد من القضايا المثارة والتي يريد المشروع توضيحها بالدليل والبرهان والطرح الهادئ المعتدل القائم على النقاش العلمي الرصين والمُبَسَّط.

لقد بدأ بإصدار هذه السلسلة من الكتيبات التي ستصدر تباعا بمنهجية وصيغة موحدة، وتعالج مختلف القضايا من زاوية بحثية، وربما لن نعدم طرقا أخرى يمكن اتباعها في سبيل تحقيق الأهداف الآنفة الذكر.

ما كان للمشروع أن يكون لولا حملات التضليل والتبديع والتكفير التي مني بها المجتمع اليمني على خلفية تمسكه بعقائد أهل البيت عليهم السلام وثقافتهم، هذه الحملات هي التي أسّست وتؤسس لما يشهده المجتمع من حملات العنف والقتل والعمليات الانتحارية الفوضوية والتي تتكئ جميعها على التكفير والتضليل؛ ولهذا فإن من وسائل القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة التي أصابت المجتمع الإسلامي بشكل عام هو المواجهة الثقافية، بل وإنها لتعد الوسيلة الأنجع والأنفع في درء وباء وأضرار هذه الظاهرة الطاغية على التاريخ المعاصر.

وإذا كانت الفئات البسيطة والتي لم تأخذ حقها من التعلم والمعرفة هي الفئات الأكثر عرضة لتأثير جماعات التكفير والتضليل والتبديع فإنها بالضرورة هي الفئات التي آثر المشروعُ مخاطبتَها والتوجهَ إليها، كما أنه لن يُغْفِل الفئات المثقفة والمتعلمة والمتخصصة من أن يكون لها حظ ونصيب في هذه السلسلة كبداية تؤسس للتخصص والتوسع.

يحرص المشروع على أن يكتب المؤلف بحثه بطريقة منهجية وبالأخذ بأفضل الأقوال وأيسرها وأرجحها، ومع ذلك فإن المؤلف هو من يتحمل مسؤولية كل ما يرد في بحثه ومؤلفه من أفكار وأقوال، ولا يعبر بالضرورة عن رأي القائمين على المشروع.

أخيرا أسأل الله أن يصل بالمشروع إلى أهدافه المثلى والتي في المحصلة سوف يفاد منها المجتمع في درء أخطار التكفير وأضراره، إنه القادر على كل شيء الذي لا رادّ لفضله يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وآله الطاهرين المنتجبين.

دائرة الثقافة والتأهيل بالمجلس الزيدي

البعد الاجتماعي
في ثورة الإمام زيد بن علي

مقدمة

هناك أسباب وعوامل وأهداف مقدسة كانت وراء ثورة الإمام زيد بن علي وحركته الجهادية، ويطول البحث لو استقصيناها على نحو كامل، وسيقتصر هذا الكتيب على البعد الاجتماعي لهذه الثورة، والتجوال في أنحاء هذا البعد يشير ولو بالقياس إلى الأبعاد الأخرى، ويحسن التنبيه بأن أي محاولة لتسطيح التاريخ على النحو الذي صوره بعض المؤرخين عن أسباب ثورة الإمام زيد بن علي عليه السلام[1]

(١) يسوق البعض أن ثورة الإمام زيد بن علي جاءت باعتبارها ردة فعل غاضبة نتيجة الإهانة التي وجهها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان في مجلسه إليه، كما يعتقد آخرون أن الحدة التي كانت من صفات الإمام زيد بن علي هي التي حملته على الخروج والثورة ضد هشام بن عبد الملك الذي كان على قدر كبير

تعتبر تأصيلا خطيرا للفوضى، وستعطي وعيا تاريخيا مسطحا، ينتج عنه حركة تاريخية منحرفة أيضا؛ ولهذا فالمطلوب من الباحثين دراسات جادة تضع جميع عناصر البحث المؤثرة في الحدث التاريخي والثوري على مائدة واحدة لتظهر الصورة الأقرب إلى الصدق التاريخي، لا سيما حين ندرس تاريخ العظماء وذوي التأثير من هذه الأمة الذين لا زال تأثيرهم باقيا حتى اليوم.

سيحاول الكتيب وضع خلفية اجتماعية واقتصادية لما كان عليه ذلك العصر، وللعلاقة الاجتماعية والاقتصادية التي كرّسها الحكام الأمويون بينهم باعتبارهم حكاما وبين أبناء الأمة الإسلامية باعتبارهم محكومين، ثم العودة إلى البرنامج الثوري الجهادي للإمام زيد عليه السلام الذي يتصل اتصالا كبيرا بالوضع الاجتماعي المعاش.

من التحلي بصفات رجال الدولة المحترمين، ورأي ثالث يجعل السبب خصام الإمام زيد مع أبناء عمومته أولاد الحسن عليه السلام واستغلال الوالي الأموي لتوسيع الشقة بينهم، ورأي رابع أنه استُخِفَّ من قبل أهل الكوفة وكانوا أهل غدر.

أفاد هذا الكتيب من مصادر عديدة، وهـو مـدين بالفـضل أيـضاً لمقدمة الدكتور عبدالعزيز الدوري عن الاقتصاد العربي. وقد تم عزو المعلومات إلى مصادرها بشكل منهجي.

تمهيد

من المعروف تاريخيا أن بني أمية اغتصبوا أمر هذه الأمة بالمال والسيف منذ معاوية، ومن شأن المغتصبين للحكم أن يظلوا قلقين من أي محاولات تصحيحية، ولهذا ظلوا يستخدمون أدوات ووسائل تضمن استمرار الحكم وتكرسه في أيديهم، ومن هذه الأدوات المال، والأرض، والضرائب، والعقاب بالحبس، والقتل، والتلاعب بالوضع الاجتماعي والقبلي ضعة للمخالفين ورفعة للموالين، ولم يترددوا في استخدام أبشع الجرائم إذا ما اقتضى الأمر للحفاظ على كراسيهم كالذي فعلوه يوم الطف بسيد شباب أهل الجنة الحسين بن عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، ويوم الحرة بأبناء الأنصار والمهاجرين.

استئثار الأمويين بالأرض الخراجية

بالعودة إلى أيام الفتوحات للعراق والشام وفارس، ففي العراق وإيران مثلا وجد الخليفة عمر بن الخطاب الأرض المفتوحة عنوة - شاسعة ومترامية الأطراف، فلم يعمل بالمبدأ الإسلامي المعروف في هذا النوع من الأراضي وهو تخميسها وتوزيع ما بقي منها على الفاتحين، بل أمر بضمها إلى ملكية بيت مال المسلمين على أن يعطي الفاتحين أعطيات ثابتة، تعوضهم عن بعض حقوقهم[1]، وبهذا كانت غلات الأراضي المفتوحة في العراق تذهب إلى بيت مال المسلمين الذي كان تحت تصرف الخليفة، ولما جاء الخليفة عثمان بن عفان ترك حبل بني أمية - وهم رهطه - على غواربهم خصوصا في سنواته الأخيرة[2]، ونقم عليه المسلمون أحداثا منها أنه أعطى من

(١) القاضي أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ)، كتاب الخراج، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م، ص٣٦- ٣٧.

(٢) قال الإمام علي في خطبته الشقشقية عنه: وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله

بيت مال المسلمين خمس خراج أفريقية لمروان بن الحكم، وأقطع للمقربين منه قطائع ضخمة، حتى قال قائل ولاته في سواد العراق إنه "بستان قريش"؛ مما أثار حفيظة بعض الفاتحين[1]، وأدّى ذلك كله إلى علاقة سيئة مع الدولة ممثلة في الخليفة عثمان وولاته من بني أمية انتهت بمقتله ليتخذه معاوية قميصا للوصول إلى الحكم، والتمرد على الخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ولما استقر الأمر لمعاوية كانت له نهمة كبيرة في امتلاك الأراضي في الحجاز والعراق والشام، ومن ذلك تلك الأراضي التي كانت للأسر الحاكمة والنبلاء والإقطاعيين الكبار في الدولة الساسانية والذين هرب جلُّهم أو قتل أثناء معارك الفتوحات، وكذا أراضي معابد النار،

خضمة الإبل نبتة الربيع. كما أعلن الإمام علي بعد مقتل عثمان أنه سيرد القطائع التي أقطعها بدون وجه إلى بيت مال المسلمين. ينظر نهج البلاغة، ط١، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص١٠٦- ١٠٧، ١١٨- ١١٩.

(١) الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٦٤٢؛ وأبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، (ت٣٥٦هـ)، الأغاني، ط٢، بيروت، دار الفكر، ج١٢، ص١٦٧.

اصطفاها الخليفة معاوية لنفسه وخاصته، ولهذا سميت بالصوافي، وتصرّف فيها كما يحب، ويذكر المؤرخ القومي الدكتور عبد العزيز الدوري أن الأمويين وفي مقدمتهم معاوية أقطعوا تلك الأراضي لأنصارهم وأقربائهم[1]. مما يعني حرمان الأغلبية من عامة الناس.

وصارت التملكات[2] الكبيرة للأراضي ظاهرة شائعة في البيت الأموي وولاتهم، ويذكر منهم مثلا مسلمة بن عبد الملك أمير العراق (في ١٠٢-١٠٣هـ) الذي استصلح أراضي واسعة في السواد كانت المياه قد غمرتها أثناء ثورة ابن الأشعث فاستكثر الخليفة الوليد بن عبد الملك المبلغ المقدّر في إصلاحها وهو ثلاثة ملايين درهم، فتقدم مسلمة بعرْضِ استصلاحها ولكن لنفسه، فوافق الوليد، فاستصلح أراضي شاسعة منها، وحفر لها نهرين واسعين عرفا بـ(السيبين)، كما كان لوالي هشام بن عبد الملك على العراق خالد بن عبد الله القسري

(١) مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ط٤، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٢م، ص٢٣-٢٥، ٢٦.

(٢) أطلق عليها هذا المصطلح مجازا، إذ ليس لهم سبب شرعي في التملك.

(في السنوات ١٠٥هـ - ١٢٠هـ) نشاط واسع في استصلاح الأراضي وامتلاكها في السواد حتى بلغت غلة أراضيه ملايين الدراهم سنويا، بل كان يستطيع التأثير بغلاته على أسعار السوق[١]، ولهذا ورد في وثيقة تاريخية أوردها المؤرخ الطبري تتضمن مرسوما خليفيا قضى بمنع خالد القسري من بيع غلاته "حتى تباع غلات أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك"[٢]. وهكذا أصبحوا يتحكمون حتى في مآكل الناس ومصائرهم.

هشام الخليفة الأموي نفسه احتجن أراضي واسعة في أنحاء مختلفة من مملكته وكانت من أهم مصادر وارداته[٣]، لقد تذكّر أحدُ الواعظين بعد أفول شمس الدولة الأموية حالة هشام وأولاده فقال: "وولي هشام بن عبد الملك ثماني عشرة سنة ما منها سنة إلا وهو ينشئ

---

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٣٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٨٩؛ وحمادة، ماهر، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي (٤٠هـ/ ٦٦١م ـ ١٣٢هـ/ ٧٥٠م)، بيروت، مؤسسة الرسالة ودار النفائس، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ص٤٨٣.

(٣) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٣٩.

فيها عيوناً، ويتخذ فيها أموالاً، ويقطع لولده القطائع، ولا أعرف اليوم من ولده رجلاً يشبع"[1].

تطورات الوضع الاجتماعي المتحكم عبر الأشراف والأموال

لما وصل الأمويون إلى الحكم استحضروا الروح القبلية، مضافا إليها العصبية العربية، معجونة بالتأثيرات البروتوكولية التي تأثروا بها من أسلافهم على الشام البيزنطيين، وأصبح الشيخ العربي بعقلية أبي سفيان الذي لم تهذِّبه المبادئ الإسلامية يجلس على كرسي هرقل، ويحكم الأمة التي تدين بدين الإسلام بالطريقة التي يرى فيها المصلحة لدولته من دون نظر إلى موقف الإسلام من تلك الطريقة، وكانت إحدى أدواته في التحكم في الناس استمالة شيوخ القبائل،

---

(١) البيهقي، إبراهيم بن محمد، (كان حيا قبل ٣٢٠هـ)، المحاسن والمساوئ، ط المكتبة الشاملة، ص١٥٢.

الذين كانوا يسمون بالأشراف، واعتبارهم مراكز القوىٰ المتحكمة في الأمصار، وقد أغدقوا عليهم الأموال، وأرهقوهم بالكرم من بيوت أموال المسلمين، فكانوا الظهير والمؤازر لهم، وفي مقابل ذلك اعتُبِروا مسؤولين عن أي حدث يحدثه أفراد قبائلهم، وقد استعان بهم زياد ابن أبيه في حكم العراق، ثم ابنه عبيد الله في إجهاض ثورة الحسين وقتله، ومن قبلهم معاوية الذي كان بلاط قصره يحفهم بالإسعاد والاحترام، وحين يعودون منه يكون قد نالهم كرم (أمير المؤمنين!! معاوية) بشيء لا تستطيع قلوبهم معه إلا أن تحبه[1].

---

(١) ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله، أبو عمر القرطبي النمري، (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت: علي البجاوي، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ج٢، ص٨٢٦؛ وابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، ت: علي شيري، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ج١٦، ص٢٠٩، ج٣٥، ص٣٦، ج٤٠، ص٢٩٨؛ والحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله، (ت٤٠٥هـ)، المستدرك علىٰ الصحيحين، ت: مصطفىٰ عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ج٣، ص٥٤٢، ح رقم ٦٠١٥؛ وفيها سلوك مضحك ومبك من معاوية في سياسة الناس وشراء ذممهم بالمال لتحقيق مآربه وأغراضه.

ومع مرور الوقت حصلت فجوة بين هؤلاء الأشراف وبين عامة قبائلهم؛ حيث أن الأشراف اتجهوا إلى العناية بالأرض التي أقطعتهم إياها السلطة من خلال وكلائهم، واتجهوا في التمتع بالأموال التي يتقاضونها من قبل السلطة، فتكرّست الأموال بأيديهم بينما بقي عامة قبائلهم يكابدون الفقر ويصارعون العوز والحاجة، لكن حين نصل إلى فترة الحجاج (٧٥هـ-٩٥هـ) نجد انفصاما واضحا بين الأشراف والعامة بسبب اتساع الفجوة الاقتصادية بينهم، وحينها رأى الحجاج أن الأشراف لم يعد لهم تأثير واسع وفاعل على قبائلهم، فأنشأ مدينة واسط وأقام فيها حامية عسكرية مجلوبة من الشام، اعتمد على هذه الحامية في فرض سيطرته على القبائل[1] مستعيضا بها عن الأداة السابقة وهي شيوخ القبائل.

ويجد الباحث قلقا واضحا لدى هشام بن عبد الملك (ولي من ١٠٥هـ - ١٢٥هـ) من هؤلاء الأشراف حينما تخوّف من إرهاصاتِ ثورةٍ يقودها الإمام زيد بن علي، فأمر واليه على الكوفة يوسف بن

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٣٨.

عمـــر أن يـــستدعي الأشراف ويتوعـــدهم بالعقوبـــة في الأبـــشار، واستصفاء الأموال منهم إن تحركوا باتجاه الثورة مع الإمام زيـد، كـما توقع أن من كان منهم له عقد من ذلك فإنه سوف لـن ينـصر الإمـام زيداً[1]، ويعزى السبب في خفوت تـأثير الأشراف في قبـائلهم لمـا مـر سابقا، ولتغلغل المبادئ الإسلامية التي نادى بها أهل البيت وعمّـدها الإمام الحسين بن علي بدمه في كربلاء في عقـول النـاس شـيئا فـشيئا، ولقيام مدارس إسلامية درّست الحـديث والـسيرة والفقـه والتـي في العادة روّجت للمبادئ الإسلامية واعتمدتها طريقة ومنهجـا؛ الأمـر الذي أدّى بالمقابل إلى انحسار القيم القبلية السلبية التي كانت إحدى أدوات الحكم في الدولة الأموية.

(١) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص٤٧٩.

انعكاس الحالة الاجتماعية على برامج ثورات ذلك العصر

استدعى بالضرورة تعاملُ الأمويين مع الأرض على ذلك النحو جبْرَ الناس وعامَّتَهم للعمل سخَرة في هذه الأراضي الشاسعة لإحيائها وزراعتها، ولهذا نجد في برامج الثورات التي اندلعت آنذاك المناداة بالدفاع عن المظلومين والضعفاء، والحكم بكتاب الله وسنة رسول الله، ويظهر هذا واضحا في برنامج الإمام زيد كما سيأتي، وفي برنامج ثورة الحارث بن سريج في خراسان[1]، والثورات التي تنتمي لتلك المرحلة.

بل ويظهر حتى في برنامج ثورة الخليفة الأموي يزيد بن الوليد بن عبد الملك ضد ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة١٢٦هـ، فنقرأ برنامجه الذي وعد به الناس بعد تنصيب نفسه

---

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٤٨.

خليفة، وفيه ما يبين المظالم التي كان يعانون منها، يقول فيه: "أيها الناس إن لكم علي أن لا أضع حجرا على حجر، ولا أكري نهرا، ولا أكثّر مالا، ولا أعطيه زوجة ولا ولدا، ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتى أسد ثغر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم، فإن فضل فضلة نقلتها إلى البلد الذي يليه، ولا أجمركم[1] في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم، ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم؛ وأن لكم أعطياتكم عندي في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم"[2].

ومن هذا البرنامج يتضح أن القضية الاجتماعية والاقتصادية كانت مستفحلة الشرور، وتبين مدى الأثرة والاستبداد الذي وصل

---

(١) التجمير إبقاء الجند في الثغور مددا طويلة لا يحتملونها، وهناك تأثر واضح بثورة الإمام زيد وبرنامجها على ثورة هذا الأموي، يفسره التشابه الكبير في البرنامجين، وما يحملانه من طابع اجتماعي واقتصادي.

(٢) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص٥٠٦-٥٠٧.

إليه الحاكم الأموي في احتجان الأراضي والاستحواذ على الأموال العامة وتوزيعها على الأقارب، وأخذ الأموال من الأمصار إلى الخزينة في العاصمة، واحتباس الجنود في الثغور لمدد طويلة، والتضييق على المعاهدين، والانصراف إلى حياة اللهو والشهوات، وترك إدارة الدولة بالحسنى، والتقاعس عن حل مشاكل المواطنين، والتلاعب بالعطاء، وسياسة التمييز الطبقي بين فئات المجتمع.

المال شهوة هشام بن عبدالملك

ذكرت بعضُ المصادر اهتمامَ هشام بإدارة مملكته وعظيم عنايته بالاطلاع على أحوالها ودواوينها، وأنه كان مثار إعجاب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[1]، ومن المفيد التذكير أنه كان يجمع الخليفتين العداءُ العميق ضد آل أبي طالب بسبب الخوف على السلطة كما جمعهما التورط في دمائهم، والبخل الشديد الذي حُكِيَتْ عنه القصص الكثيرة، غير أن هناك ما يبين أن هذا الاهتمام لا يخلو من شائبة الاستبداد واستخدام أدوات قذرة في التسلط، ولكأن الزهد كان عن جريمة للهوس في أخرى، فهذا هشام علِم أن أحد أولاده كان يميل إلى الفاحشة، فعزله عن عمله، وقال له: "أيزني القرشي؟

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ)، كتاب جمل من أنساب الأشراف، ت: سهيل زكار، ورياض زركلي، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ج٨، ص٣٧٨، ٣٧٩؛ وحمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص ٦٨.

أتدري ما فسق القرشي وفجوره؟ إنما هو أن تأخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتقتل هذا وتأخذ مال هذا"[1].

لقد كان الاستحواذ على المال وجمْعِه شهوةَ هشام، لكن شهوة الخليفة الذي خلفه وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كانت في الزنا حتى بالمحارم والفواحش وشرب الخمر وسماع القيان وهي تغنيه، وقد أزمع مرة أن يجمعهن ليغنين له على ظهر الكعبة استخفافا بالأمة التي كان يوجد فيها[2]، ولما عيّره عمه هشام مريدا منه أن يتنازل عن ولاية العهد لأحد أولاده، فسأله عن دينه، أجابه الوليد قائلا:

يا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر

نشربها صِرْفاً وممزوجة ... بالسخن أحياناً وبالفاتر

وأبو شاكر هو ولد هشام وكان ممن يشرب الخمر أيضا ويشتهر بذلك[3].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٨١.

(٢) السيوطي، عبدالرحمن السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص١٩٩.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٨٨.

لقد كان هشام ينظر إلى الدين من منظور العصبية القبلية، وكان يستحضر (القرشية) مقابل من سواها؛ ولهذا كان يكره الأنصار، ويصفهم باليهود[1]؛ لأنهم من غير قبيلة قريش.

الفئات المسحوقة هي الأكثر تضررا

إذا كان ذلك وضع الحكام فإن وضع الرعية كان سيئا جدا، ولهذا كان العامة من الناس هم وقود ثورات تلك المرحلة دائما، وقد توقع هشام نفسه أن من سينصر الإمام زيدا إذا ما ثار عليه هم "الرعاع وأهل السواد ومن تنهضه الحاجة"، وهم جميعا من الفئات المسحوقة اقتصاديا واجتماعيا، وأهل السواد هم من يعملون فيه أكَرة وفلاحين وجرارين، وإذا كان المؤرخون يعتبرون أن من إصلاحات عمر بن عبد العزيز أنه منع السخَر[2]، فإن ذلك يشير إلى ما كان يمارسه بنو

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٨١.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ابن واضح، (ت بعد٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة ليدن، ١٨٨٣م، ج٢، ٣٦٧.

أمية إكراها وقسرا لعامة الناس وللطبقة المستضعفة فيهم بالعمل في الأرض المملوكة للأمراء والملوك مقابل إعالتهم، أو مقابل أجور سخيفة جدا.

استطار الشرر حتى بالأشراف

لم يكن الأشراف من القبائل بمنجاة عن شرر الاستبداد الأموي؛ إذ أنهم لما تضررت مصالحهم قادوا ثورات عنيفة ضد الحكم الأموي رغم أنهم وآباءهم كانوا من أنصار السلطة المخلصين، ولهذا لا غرابة أن قاد هذا النوع من الناس الثورات، ومنهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قاد ثورة في سجستان، واستولت على العراقين، وكادت أن تطيح بالحكم الأموي، ونصرها الفقراء، وأجج أوراها القراء والفقهاء، وكان أحد أسبابها هو اقتناعهم أن الحجاج بن يوسف الثقفي حين أخرجهم لغزو سجستان وحثّهم على مهاجمة الأعداء إنما أراد إقحامهم في المهالك، كما كان يجمّرهم (يبقيهم مددا طويلة في

الثغور)[1]. ومنها أيضا الوضع المقيت الذي كانت تفرضه السلطة الأموية على المسلمين من غير العرب، وهم من سُمُّوا بـ(الموالي)، وسيأتي الحديث عنهم، ومنها أيضا إعادته فرض الخراج على الأرض الخراجية التي حازها العرب المسلمون وأصبحت في اعتباراتهم أنها عشرية، ومنها إجباره المسلمين الجدد من أهل الذمة على تسليم الجزية حتى لا تتأثر الخزينة العامة سلبا[2]. وقاد أيضا المطرف بن المغيرة بن شعبة سنة (٧٧هـ) ثورة دعا فيه هو الآخر إلى الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

(١) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص٣٢٨ وما بعدها.

(٢) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٣٣.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٩٣- ٦٠٠؛ وحمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ج٥ ص١١٣-١١٤.

لؤم الحاكم السياسي المتعصب

في يوم من الأيام قدم على هشام بن عبد الملك وفدٌ من أهل المدينة فيهم رجلٌ من ذرية عمار بن ياسر، ولما استنسبه وعرف جده انقدح الشر في نفس هشام الذي نسي أنه حاكم المسلمين، وغلبه شعور الحقد والكراهية ضد ذراري أنصار الإمام علي بن أبي طالب، لقد كانوا يعاقبون الذرية بما جاء به الأجداد، فتمثّل هشام قائلا:

ترجو الصغير وقد أعياك والده ... وفي أرومته ما ينبت العود

ثم قال: لا والله لا تنال مني خيراً أبداً ما بقيت[1]. وهكذا عاد ربيب (آل ياسر) وحفيد عمار صِفْرَ اليدين من حقه في بيت مال المسلمين؛ بذنب جده عمار الداعي إلى الجنة من قتلته الفئة الباغية؛ كان ذنب جده أنه نصر عليا عليه السلام في صفين.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ٤١٢.

ويتبين لنا من خلال تصوير يوسف بن عمر في رسالته إلى هشام المدى الذي وصل إليه أهل بيت رسول الله من الحاجة والفقر، حتى أنه قال فيها يحرضه ضد الوالي قبله خالد القسري: "إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعا حتى كانت همة أحدهم قوت عياله، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقووا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة"[1]، ويتضح أنه أراد الكيد لخالد بمبالغته هذه، ولكنها تشير إلى العقلية الحاكمة والطريقة التي حكم الأمويون وولاتهم بها الناس المبنية على سياسة الإفقار، والتمييز العنصري، وتقصُّدِ إفقار أهل البيت النبوي بخاصة، لينشغلوا بأمور المعيشة عن القيام بما يجب عليهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح في أمة جدهم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٤٨؛ وحمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص٤٨٩.

رفض إسلام أهل الذمة

وصل بهم الأمر أنهم رفضوا إسلام من أراد أن يسلِم من أهل الذمة، وأجبروهم على الاستمرار في الكفر ليس لشيء وإنما من أجل ما يحصلون عليه من ضريبة الجزية، وتكرر هذا في أكثر من مكان وزمان في مملكتهم، فقد أمر الحجاج بتسلُّم الجزية ممن أسلم منهم، وهو ما ساهم في النقمة عليه والخروج في ثورة ابن الأشعث[1]، ثم تكرر هذا في عهد عمر بن عبد العزيز، ولم يكف عماله أن يعلموا أنه شخص يختلف عن من سبقه فعادوا يطلبون منه هذا الأمر؛ لأن الممارسات السيئة والثقافات المغلوطة تغلغلت فيهم[2]، وهو أمر وعَد لاحقا يزيدُ بن الوليد أيضا بعدم انتهاجه على خلاف أسلافه، كما تقدم، بما يشير إلى أنها قضية أخذت حيزا زمانيا طويلا.

---

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٣٣.

(٢) حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص٤٣٠، ٤٣٩.

العصبية العربية ومعضلة الموالي

اعتبر المؤرخون الدولة الأموية دولة السيادة العربية حيث سيادة العنصر العربي على من سواه من العناصر المكونة للمجتمع السلم، ومن الواضح أن سلطة هذه الدولة كانت تعتمد على دوائر نفوذ اجتماعية متراتبة من الأسفل إلى الأعلى، يجمعها الولاء والإخلاص للدولة، والمصلحة المالية، والاستئثار على الأرض، والحصول على العطاء من ديوان بيت مال المسلمين، وكونهم محاربين في مجتمع كان يحارب في الشرق والغرب، وكان يحركه أيضا طلبُ النجاة من تضييق الأمويين وسجنهم وسيوفهم وسياط تعذيبهم، وكانت القبيلة العربية هي القاعدة العريضة للقوى البشرية التي حكمت من خلالها الدولة الأموية، غير أن هذا الوضع لا يعني تساوي العرب في الحقوق والواجبات، بل كان وضعا تراتبيا يشتد ويخف وينقطع بحسب الإخلاص والولاء للفرد الحاكم، وربما تغير من حاكم إلى آخر، يبدأ هذا التراتب من القاعدة العربية الموالية وينتهي إلى الأعلى بالبيت

السفياني الأموي، ثم المرواني الأموي، والذين حرصوا على إقناع الناس على أن وصولهم إلى الحكم كان بقضاء الله وقدره، وأن الأمر لله يضعه حيث يشاء[1]، في خطوة أرادت إغلاق باب التفكير في التغيير، ولئن نجحوا في أول الأمر فقد فشلوا آخره، حيث أدّى انتشارُ الفكرة القائلة بحرية اختيار الإنسان لأفعاله في أيام عمر بن عبد العزيز وما بعده - والتي روّج لها الجعد بن درهم وغيلان الدمشقي والإمام زيد وأهل البيت وكذلك المعتزلة - إلى فتح أبواب الثورات على مصراعيها على ظلم الأمويين بدون صدٍّ فكري كابح.

هذه العصبية العربية عند حكام هذه الدولة قضت بحرمان جميع الفئات المسلمة من غير العرب، وهم الموالي، وقضت باعتبارهم مواطنين من درجة ثانية، فقد حُرِموا من العطاء، كما حُرِموا من حق المشاركة في الجهاد، إلا إذا أرادوا المشاركة المجانية، وبهذا صارت حيازة أموال السواد حكرا على العرب، الذين أَوْكَلوا إلى نواب لهم إدارتها عبر فلاحين وأكرة مستأجَرين من الطبقات المسحوقة،

---

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٢١.

وتفرّغوا هم للعمل العسكري، ولكن مع كثرة العسف وزيادة الظلم وقلة الإنصاف خرِبت المزارع، وغمر بعضَها المياهُ، ولا يستطيع أن يعمرها مرة أخرىٰ إلا من كان ذا مال وجِدَة، وهؤلاء قلَّ أن يوجد أحدٌ منهم خارج البيت الأموي أو ولاتهم الكبار؛ الأمر الذي كرّس كما تقدم الأراضي في يد الطبقة المالكة.

ينقسم الموالي إلىٰ قسمين؛ القسم الأول وهم الأقل، ممن كانوا رقيقا فأعتقوا وصاروا موالي للذين أعتقوهم، والقسم الثاني، وهم الأكثر وهم أولئك السكان الأصليون في البلاد المفتوحة كالعراق وإيران وأفريقيا وفي جميع أرجاء الدولة الإسلامية الذين دخلوا في دين الله، ولكن لأنهم كانوا من جنس غير جنس العرب فقد حُرِمُوا من تلك الامتيازات التي كان العربي يحصل عليها، فلجأوا إلىٰ التحالفات مع القبائل العربية لقاء منافع متبادلة مثل الإسهام في دفع الديات والمشاركة في القتال، والمشاركة في الأمور العامة للقبيلة أو العشيرة، مقابل حصولهم علىٰ الإسناد الاجتماعي والرعاية[1].

---

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٤١.

ومع التطور الحضري في المدن الجديدة في أرجاء الدولة وبقاء العربي عسكريا محاربا ومسجَّلا في ديوان الجند ومحتفظا بأدبياته القبلية التي تكره الاضطلاع بالمهن الحِرَفية فقد جُعِلَ الباب مفتوحا أمام هذه الفئة من الناس (الموالي) وأمام غيرهم من أهل الديانات الأخرى ليكونوا عمدة المجتمعات المدنية فيها، فاشتغلوا في التجارة وفي الصيرفة، ومنهم الباعة وأصحاب الحرف والمهن المختلفة، وبهذا صاروا عماد النشاط الاقتصادي والتجاري[1]، فأفسح المجال لهجرة أعداد كثيرة منهم من القرى ومن الضياع الزراعية، هربوا منها إلى المدن التي وفَّرت لهم مجالا حِرَفيا كان يجعلهم أكثر استقلالية، فأثّر سلبا على الأراضي الزراعية وهو ما حمل واليا مثل الحجاج على أن يختم على رقابهم للتعرف عليهم بسهولة، ثم إعادتهم إلى القرى للعمل كَرْها في الأراضي والضياع التي كانت حيازتها للأمويين وولاتهم وللعرب المقرّبين من السلطة كما تقدم[2].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص٣٩.

لقد شارك الموالي في الحروب التي كانت تشنها الدولة الأموية، لكنهم لم يكونوا يسجلون في ديوان الجند، وكان ذلك مثار شكواهم ومبعث انضمامهم إلى الأحزاب السياسية المعارضة، وإلى الثورات ضد الأمويين، ويمكن فحص ذلك في برامج الثورات الخطيرة في الشرق والغرب والتي كانت تعطي هذه القضية حيزا جيدا، ففي الغرب مثلا انضم البربر للجماعات الثائرة على هشام بن عبدالملك في لأجل هذا السبب[1]، كما وُجِد في ثورة ابن الأشعث الثائرُ المولى والعربي؛ حيث وضعهم الظلم الأموي جميعا في بوتقة واحدة.

العلم والموالي

أفاد الموالي من الوضع الاجتماعي الذي حُشِروا فيه، الوضع الذي قضى بمنعهم من الالتحاق بالجندية، فأثبتوا جدارتهم وتفوقهم في المجال العقلي، فاشتهر كثير منهم في ميدان العلم والمعرفة، وتشبّعوا

(١) المرجع السابق، ص ٤٥.

بروح الإسلام التي نادى بها أهل البيت وعلماء الأمة وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب وتلامذته وأهل بيته، وما حملته الذكريات إليهم عن سعة عدله وكرهه للظلم والمحاباة والتمييز العنصري. وأدرك هؤلاء الموالي خطأ الأمويين وانحرافهم عن دين الإسلام الذي يأمر بالمساواة في الحقوق والواجبات، ومنهم سعيد بن جبير الذي استشهد على يد الحجاج بعد القبض عليه بسبب ثورته مع ابن الأشعث، ومنهم الحسن البصري الواعظ والزاهد المشهور، كما تبنى بعضهم الأفكار التي تطلب العدل وتنشد الحرية، وظهر لهم تأثير قوي في أيام عمر بن عبد العزيز، واعتمد عليهم في رد المظالم إلى الناس من بني أمية، ومنهم غيلان الدمشقي، والجعد بن درهم، والذين ما إن غاب عمر بن عبد العزيز عن مسرح الأحداث حتى قبض عليهما هشام بن عبدالملك، ولفّق عليهما تهم الكفر والدهرية، فعذبوهما ثم قتلوهما قتلة شنيعة[1].

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٣٧٩، ٣٩٠.

انتصار عمر بن عبدالعزيز للمبدإ الإسلامي

رغم ما سبق فإن عمر بن عبد العزيز كان قد قرر إنصاف مقاتلة الموالي بمساواتهم للعرب في ديوان الجند[1] استنادا إلى المبدأ الإسلامي الذي لم يرد أن يهتدي إليه لا سلفه ولا خلفه.

قدّم عمر بن عبد العزيز في فترة حكمه القصيرة (٩٩هـ- ١٠١هـ) نموذجا مختلفا في الحكم عما كان عليه أهله، لقد قارب الملامسة للروح الإسلامية وللمبدأ الإسلامي الذي غيّبه أهله عن واقع حكمهم، فجاء ليثبت قطعا أنهم كانوا على خطأ من سياساتهم الباطلة، لقد مثّل دليلا واضحا وإدانة كافية للرد على من يهوى هوى الظالمين من بني أمية، ومن يكتفي بالتغني بمآثر حروبهم التي شنوها باسم الفتوحات الإسلامية، والتأول لجرائمهم في كربلاء والمدينة وغيرهما، ومن أولئك الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (تاريخنا المفترى عليه).

---

(١) الدوري، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي، ص٤٥

انعكاس الأوضاع الاجتماعية على برنامج ثورة الإمام زيد

حين ثار الإمام زيد لم يكن غائبا عن هذه الحيثيات وما كانت تعانيه الأمة من ويلات تحت هذا الحكم الظالم، وحين نقرأ برنامجه الثوري الواضح وأهدافه المعلنة ندرك معنى ومغزى ما نادى به، لقد أعلن برنامجه الثوري ملامسا الحاجة الاجتماعية والاقتصادية للأمة، وكان برنامجه نبضا دافقا لروح الإسلام المخنوقة من قبل الحكام، روى البلاذري: "وكان (أي الإمام زيد) إذا بويع قال: أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء على أهله، ورد المظالم، وإقفال المجمّرة، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب، أتبايعون على هذا؟ فيبايعونه ويضع يده على يد الرجل، ثم يقول: عليك عهد الله

وميثاقه لتفينَّ لنا، ولتنصحنَّا في السر والعلانية، والرخاء والشدة، والعسرة واليسرة"[1].

هذا البرنامج الثوري الواضح جاء إذن معالجة بيِّنة للانحراف السياسي والاجتماعي والاقتصادي القائم آنذاك، ويرُدُّ ردا واضحا على من خمّن السبب بأن خصاما شب بين الإمام زيد وبني عمومته من أولاد الحسن على ولاية أوقاف آل علي، أو أن الإمام زيد بن علي عليه السلام وقع ضحية استغواء واستخفاف أهل الكوفة الذين خذلوه مكرِّرين للمأساة الحسينية، أو أنه كان حادَّ الطبع، أو لأي سبب آخر، وهي مقولات تبتعد عن هذا الواقع الذي عرضناه في جزئية واحدة فما بالك بغيرها من الأسباب، كما أنها تعكس مفهوم هؤلاء عن ثورات أهل البيت، وأنها مجرد نزوات شخصية أو هبَّات عاطفية لا تستند إلى وعي إسلامي حاكم ضابط لها.

لقد كانت ثورة الإمام زيد ثورة أجمعت عليها الطوائف المختلفة،

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٣٤. ويقارن بالطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص١٩٩.

وجاءته البيعة من مختلف الأمصار، كما نصره الفقهاء والعلماء، وسميت لذلك ثورة العلماء.

أثر المبادئ الإسلامية في الثورات ضد الأمويين

إن مما يبين المدى الذي وصل إليه تأثير المبادئ الإسلامية على حساب المبادئ القبلية أنه كان هناك فجوة واضحة بين ولاة بني أمية في العراق مهْدِ الثورة وبين أهل العراق تفاقمت مع الأيام، حيث لم يقاتل أهلُ العراق أنفسهم الإمامَ زيدَ بن علي كما كان عليه الحال في ثورة الإمام الحسين من قبله؛ حيث كانت الدولة الأموية في ثورة الإمام زيد قد جلبت لها مرتزِقة من السند (باكستان حاليا) أطلق عليهم القيقانية، وكانوا يجيدون الرماية، وكانوا إحدى فرق الجيش الأموي في العراق الذي اشترك في حرب الإمام زيد، كما كان هناك جيش شامي، هو الذي اشتبك مع أنصار الإمام زيد[1]؛ الأمر الذي

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ٤٣٩؛ والأصفهاني، علي بن الحسين، أبو الفرج (ت٣٥٦هـ)، مقاتل الطالبيين، ط٢، قم، مؤسسة دار الكتاب، والنجف، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٥م، ص٩٣.

يعطي انطباعا بانحسار الولاء الأموي إلى حدٍّ ما من العراق، وأن الأمور ذاهبة إلى منحى آخر، وهو الانطباع الذي يؤكده خطاب يوسف بن عمر الثقفي والي العراق بعد قضائه على ثورة الإمام زيد، حين هدّد أهل الكوفة فيه بقطع زروعهم وإفساد أموالهم، واتهم جميعهم بأنهم لا يوالون أولياءه الأمويين ما عدا رجلا واحدا منهم أشاد به[1].

ومن هنا يتبين أن أسبابا وظروفا مهمة حرّكت الإمام زيد بن علي وعوّل عليها، كما أن سبيله سبيل جده الحسين بن علي عليهم السلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد حمد الله حين رأى الرايات تخفق فوق رأسه، ولا مجال الآن للحديث عن أسباب الإخفاق المادي في هذه الثورة إذ ليس موضوعنا الذي نتحدث عنه، وأما النصر المعنوي والقيام بما أمر الله فهذا أمر لا مِرية في تحققه.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢١٠.

دلالة مشاركة الفئات المجتمعية البسيطة في الثورة

لما برز القائد الأموي الشامي المدعو عبيد الله بن عباس الكندي برز إليه غلام حنّاط يدعى واصل، فضرب الغلامُ الحناطُ ذلك القائدَ الكندي ضربة موجعة وقال له: "خذها وأنا الغلام الحناط"، فقال الكندي: والله لا أتركنك تكيل قفيزا بعدها، لكنه لم يستطع فعل شيء، وانهزم هاربا لا يلوي على شيء[1]، وحين رُمِي الإمام زيد عليه السلام بالسهم في جبينه دخل دار الجرارين بالسبخة[2]، وهم من يجرّون الماء من النهر للسقي به.

هذا الأمر يشير إلى الفئات المجتمعية المشاركة في الثورة على الظالمين، وأن الثورة أصبحت ثقافة عامة لدى مختلف فئات الناس، وأن هذه الفئات التي جلبتها المدنية الكوفية أصبحت تشارك في الحروب وفي إحداث التغيير الذي ينادي به الإسلام، وأصبحت

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٤٠.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص٤٤٥.

بيوتها مأوى الثوار، وبات مقاتلوها على حِرَفية عالية في الحرب، ويظهر بوضوح أن الكوفة وهي أحد مدارس العلم الإسلامية آنذاك التي احتضنت المحدثين والفقهاء كانت قد أحدثت وعيا كبيرا في المجتمع الكوفي الذي كان في الأصل مجتمعا قبليا محاربا، ولهذا يترجّح أن هذه الثورة الزيدية هي التي عجَّلت بزوال الدولة الأموية بعد حوالي عشر سنوات كانت مليئة بالفوضى، حيث أصبحت الثقافة العامة للناس هي ثقافة التغيير ومن كل الفئات المجتمعية.

ويحضرني هنا شعر الشاعر الخارجي حبيب الهلالي وهو يتأسف لمقتل الإمام زيد، ويتهم أولاد درزة بالفرار عنه، قائلا: (أولاد درزة أسلموك وطاروا) ، و(أولاد درزة) مصطلح لفئة من الناس ترجمهم ابن الأعرابي، بالسَّفِلة من الناس، والزمخشري بالخيّاطين[1] ،

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، الأفريقي، المصري، (ت٨)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ج٥، ص٣٤٨؛ والزمخشري، محمود بن عمر، جار الله (ت٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ج١، ص٢٨٣.

والفيروزآبادي بالسفلة والخياطين والحاكة[1]، وهذا الوصف وإن أتى ضمن احتقار العرب لأهل المهن في ذلك العصر، لكنه يبين أن ثورة الإمام زيد كانت تلبي طموح هذه الفئات من الناس، لتعبر عن انطلاقتها الواقعية، وعن تأهلها للمشاركة الإيجابية التغييرية الثورية من وحي التعاليم الإسلامية التي وصل مداها إليهم.

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي، (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مادة درز.

الخاتمة

مما سبق يتبين أن ثورة الإمام زيد سنة ١٢٢هـ كانت استجابة لظروف وعوامل وحيثيات موضوعية أخذت وقتها وحقها من التفاعل، وأنه كان هناك ما يوجب أن تكون ثورة حتى في هذا البعد الاجتماعي، دعك من الأبعاد الأخرى، كما يتضح أثر ثورة الإمام الحسين في تغيير الأفكار نحو عودة الأمة إلى الدعوة للعمل بما في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي توسع دائرة الرفض للحكم الأموي الظالم، وفي التعجيل بزوالهم، كما تبيّنَت الهوة العميقة بين مبادئ الإسلام العظيمة والممارسات الأموية الخاطئة في صدر الإسلام فكان له ظلاله السلبية على الأفكار والمناهج السياسية اللاحقة، ومن تلك الممارسات المنهجية التي سلكها بنو أمية في تركيز المال والأرض والسلطة في أيديهم وأيدي أعوانهم، والتنكيل بمن يخالفهم، وسياسة الإفقار والتجمير لكل من يخالفهم بل ولفئات الأمة المختلفة، بما يشير إلى أنهم كانوا عصابة لا همّ لها إلا التنعم

بالشهوات وتحقيق الرغبات الشخصية، وهو ما نجده في كل زمان وكل مكان، فمذهب الطغيان واحد، وملة الاستبداد لا تتغير، كما يتبين أن التعامل مع الناس وحقوقهم على أساس طبقي وشللي ليس من الإسلام في ورد ولا صدر، وأن البرنامج الذي أطلقه الإمام زيد لا زال المسلمون اليوم بحاجة إلى تطبيقه والتفاعل معه، وأن خيار هذه الأمة وعلماءها المؤتمنين هم قادتها الذين يجب أن يناط بهم تحقُّق تلك الأهداف والغايات النبيلة، وأنه لا مناص للأمة إلى العودة للحكم بمنهج الله ورسوله، كما لا يجوز أن تذهب الأمة ومصلحوها وثوارها بعيدا عن الحاجة المجتمعية والاقتصادية محلِّقة في أجواء مجهولة المصدر وعميّة الطريقة وضبابية الغاية، فالوضوح مطلوب في أهداف الثورات، لضمان تحققها في ما بعد الانتصار، والواقعية ومعالجة المشاكل القائمة أمر بدهي في أي عملية تغييرية، وقد أثبتت الثورة الشعبية اليمنية الجارية مصداق هذا القول الذي ظللت أزعمه، وأخيرا ليس بالضرورة أن ينتصر المحق ماديا، فكم من ظالم انتصر لحظة تورطه في دم مصلح ثائر لكنه انهزم إلى آخر الدهر.

الفهرس

كلمة إضاءات ---------- ٥
البعد الاجتماعي في ثورة الإمام زيد بن علي ---------- ٨
مقدمة ---------- ٨
تمهيد---------- ١١
استئثار الأمويين بالأرض الخراجية---------- ١٢
تطورات الوضع الاجتماعي المتحكِّم عبر الأشراف والأموال -- ١٦
انعكاس الحالة الاجتماعية على برامج ثورات ذلك العصر - ٢٠
المال شهوة هشام بن عبدالملك ---------- ٢٣
الفئات المسحوقة هي الأكثر تضررا---------- ٢٥
استطار الشرر حتى بالأشراف ---------- ٢٦
لؤم الحاكم السياسي المتعصب---------- ٢٨
رفض إسلام أهل الذمة ---------- ٣٠
العصبية العربية ومعضلة الموالي---------- ٣١
العلم والموالي ---------- ٣٥

انتصار عمر بن عبدالعزيز للمبدإ الإسلامي --------- ٣٧
انعكاس الأوضاع الاجتماعية على برنامج ثورة الإمام زيد - ٣٨
أثر المبادئ الإسلامية في الثورات ضد الأمويين ------- ٤٠
دلالة مشاركة الفئات المجتمعية البسيطة في الثورة ----- ٤٢
الخاتمة---------- ٤٥
الفهرس ---------- ٤٧